حماية الأطفال اللاجئين: مراجعة شاملة لعوامل الصحة النفسية الوقائية

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

أبريل 16, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). حماية الأطفال اللاجئين: مراجعة شاملة لعوامل الصحة النفسية الوقائية. عرب سايكلوجي. تم الاسترجاع من https://arabpsychology.com/?p=120774

ARABPSYCHOLOGY.COM

هل يمكننا حماية الأطفال اللاجئين من المشاكل النفسية؟ مراجعة شاملة للعوامل القابلة للتعديل لتوجيه التدخلات الوقائية

تخيّل طفلاً يترك منزله، مدرسته، أصدقاءه، وكل ما يعرفه، ليواجه عالماً مجهولاً مليئاً بالخوف وعدم اليقين. هذا ليس مجرد سيناريو خيالي، بل هو واقع يعيشه ملايين الأطفال اللاجئين حول العالم. السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح: كيف يمكننا حمايتهم من الآثار النفسية المدمرة لهذه التجربة الصادمة؟ هذا ما تسعى دراسة حديثة أجراها Gonçalves (2023) للإجابة عليه، من خلال مراجعة شاملة للعوامل التي يمكن تعديلها لتعزيز الصحة النفسية لدى هؤلاء الأطفال.

الإطار النظري

تستند هذه الدراسة إلى فهم عميق للعلاقة بين الصدمات النفسية وتطور الصحة العقلية. إن مفهوم "المرونة النفسية" (Resilience) يلعب دوراً محورياً هنا. المرونة ليست مجرد القدرة على التعافي من الصدمة، بل هي عملية ديناميكية تتضمن التكيف الإيجابي في مواجهة الشدائد. تعتمد هذه العملية على تفاعل معقد بين عوامل فردية، أسرية، ومجتمعية. من الناحية النظرية، يمكننا النظر إلى العقل البشري كحديقة؛ الصدمة هي العاصفة التي تهز الأشجار، ولكن قوة جذورها (المرونة) تحدد قدرتها على الصمود.

كما تستند الدراسة إلى مبادئ علم النفس التنموي، الذي يؤكد على أهمية المراحل العمرية المختلفة في تشكيل الصحة النفسية. فالطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يختلف عن الطفل في مرحلة المراهقة من حيث قدرته على التعامل مع الصدمات. بالإضافة إلى ذلك، تستند الدراسة إلى نظرية الأنظمة البيئية (Ecological Systems Theory) لـ Bronfenbrenner، التي ترى أن تطور الطفل يتأثر بمجموعة من الأنظمة المتداخلة، بدءاً من الأسرة والمدرسة وصولاً إلى المجتمع والثقافة. هذا يعني أن التدخلات الوقائية يجب أن تكون شاملة ومتعددة المستويات، وأن تستهدف جميع هذه الأنظمة.

منهجية البحث

اعتمدت Gonçalves (2023) على منهجية "مراجعة شاملة" (Scoping Review)، وهي نوع من المراجعات المنهجية التي تهدف إلى رسم خريطة للمفاهيم الرئيسية والأدلة المتاحة حول موضوع معين. بدلاً من تقييم جودة الدراسات بشكل صارم كما هو الحال في المراجعات المنهجية التقليدية، تركز المراجعة الشاملة على تحديد وتجميع مجموعة واسعة من الأدبيات ذات الصلة.

بدأت الباحثة بتحديد مصادر المعلومات الرئيسية، مثل قواعد البيانات العلمية (PubMed, Scopus, Web of Science) والمواقع الإلكترونية للمنظمات الدولية المعنية بشؤون اللاجئين (UNHCR, UNICEF). ثم قامت بتحديد الكلمات المفتاحية المناسبة (مثل "لاجئ"، "طفل"، "صحة نفسية"، "وقاية") واستخدمتها للبحث عن الدراسات ذات الصلة. بعد ذلك، قامت بمراجعة العناوين والملخصات لتحديد الدراسات التي تستوفي معايير الإدراج المحددة مسبقاً.

تم استخلاص البيانات من الدراسات التي تم تضمينها في المراجعة، بما في ذلك معلومات حول تصميم الدراسة، حجم العينة، العوامل التي تم دراستها، والنتائج الرئيسية. ثم تم تحليل هذه البيانات بشكل موضوعي لتحديد العوامل القابلة للتعديل التي يمكن أن تؤثر على الصحة النفسية للأطفال اللاجئين. هذا التحليل يشبه تجميع قطع الأحجية المتناثرة لتكوين صورة كاملة.

ARABPSYCHOLOGY.COM

نتائج البحث

أظهرت المراجعة الشاملة التي أجرتها Gonçalves (2023) أن هناك مجموعة متنوعة من العوامل القابلة للتعديل التي يمكن أن تؤثر على الصحة النفسية للأطفال اللاجئين. يمكن تصنيف هذه العوامل إلى ثلاث فئات رئيسية: عوامل فردية، عوامل أسرية، وعوامل مجتمعية.

تشمل العوامل الفردية مهارات التأقلم، والقدرة على تنظيم المشاعر، والشعور بالانتماء. يمكن تعزيز هذه العوامل من خلال برامج التدريب على المهارات الحياتية، والعلاج النفسي، والأنشطة الترفيهية.

تشمل العوامل الأسرية جودة العلاقة بين الوالدين والطفل، والدعم الأسري، والاستقرار العائلي. يمكن تعزيز هذه العوامل من خلال برامج دعم الوالدين، وخدمات الاستشارة الأسرية، وتوفير السكن الآمن والمستقر.

تشمل العوامل المجتمعية الوصول إلى التعليم، والرعاية الصحية، والخدمات الاجتماعية، والاندماج الاجتماعي. يمكن تعزيز هذه العوامل من خلال توفير فرص تعليمية للأطفال اللاجئين، وتوفير الرعاية الصحية النفسية، وتعزيز التسامح والتعايش بين اللاجئين والمجتمع المضيف.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تقدم إطاراً شاملاً للتدخلات الوقائية التي يمكن أن تحمي الأطفال اللاجئين من المشاكل النفسية. إن تحديد العوامل القابلة للتعديل يتيح لنا تصميم برامج تدخلية فعالة تستهدف هذه العوامل بشكل مباشر. هذا يعني أننا لسنا عاجزين أمام هذه المشكلة، بل لدينا الأدوات والمعرفة اللازمة لإحداث فرق حقيقي في حياة هؤلاء الأطفال.

بالنسبة للمعالجين النفسيين، تقدم هذه الدراسة رؤى قيمة حول العوامل التي يجب مراعاتها عند العمل مع الأطفال اللاجئين. يجب أن يكون المعالجون على دراية بالصدمات التي تعرض لها هؤلاء الأطفال، وأن يقدموا لهم الدعم العاطفي والاجتماعي اللازم. بالنسبة للأطفال اللاجئين أنفسهم، يمكن أن تساعدهم هذه الدراسة على فهم التحديات التي يواجهونها، وعلى تطوير استراتيجيات التأقلم الفعالة. أما بالنسبة للجمهور العام، فإن هذه الدراسة تزيد الوعي بأهمية حماية الأطفال اللاجئين، وتشجع على تقديم الدعم والمساعدة لهم.

السياق الثقافي العربي

عند النظر إلى هذه النتائج في السياق العربي، تظهر بعض الفروق الدقيقة التي يجب أخذها في الاعتبار. ففي العديد من المجتمعات العربية، لا يزال هناك وصمة عار مرتبطة بالصحة النفسية، مما قد يمنع الأسر من طلب المساعدة. بالإضافة إلى ذلك، قد تكون هناك اختلافات ثقافية في طرق التعبير عن المشاعر والتعامل مع الصدمات. على سبيل المثال، قد يفضل بعض الأفراد التعبير عن حزنهم من خلال الطقوس الدينية أو الاجتماعية، بدلاً من العلاج النفسي التقليدي.

كما أن دور الأسرة في الثقافة العربية غالباً ما يكون أقوى منه في الثقافات الغربية. لذلك، فإن التدخلات التي تستهدف الأسرة بأكملها قد تكون أكثر فعالية في تعزيز الصحة النفسية للأطفال اللاجئين. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون التدخلات حساسة ثقافياً، وأن تأخذ في الاعتبار القيم والمعتقدات المحلية. على سبيل المثال، قد يكون من الضروري استخدام لغة بسيطة ومباشرة، وتجنب المصطلحات النفسية المعقدة.

في بعض المناطق العربية التي تشهد صراعات مسلحة، قد يواجه الأطفال اللاجئون تحديات إضافية، مثل التعرض للعنف

ARABPSYCHOLOGY.COM

وفقدان الأحباء. في هذه الحالات، قد يكون من الضروري توفير خدمات دعم نفسي متخصص، مثل العلاج بالصدمات (Trauma-focused therapy).

آفاق مستقبلية وقيود البحث

على الرغم من أهمية هذه الدراسة، إلا أنها لا تخلو من بعض القيود. أولاً، اعتمدت الدراسة على مراجعة شاملة للأدبيات، مما يعني أن النتائج تعكس جودة الدراسات المتاحة. ثانياً، قد تكون هناك بعض التحيزات في عملية اختيار الدراسات. ثالثاً، لم تتناول الدراسة بشكل مباشر التحديات الخاصة التي يواجهها الأطفال اللاجئون في بعض المناطق العربية.

في المستقبل، هناك حاجة إلى إجراء المزيد من البحوث حول العوامل التي تؤثر على الصحة النفسية للأطفال اللاجئين في السياق العربي. يجب أن تركز هذه البحوث على تطوير وتقييم التدخلات الوقائية التي تكون حساسة ثقافياً وفعالة من حيث التكلفة. كما يجب أن تشمل هذه البحوث مشاركة الأطفال اللاجئين أن

Recommended Academic Training

:Deepen your knowledge with these specialized courses from our Academy

أخلاقيات مهنة التعليمView Course → اصول التربية والتعليمView Course → التربية البيئية والتنمية المستدامةView Course →

Reference

Gonçalves R. (2026). *Can we protect* refugee *children from* mental health *problems?-- a scoping review of modifiable factors to inform preventive interventions*. BMC Medicine, 24(1).

DOI: 10.1186/s12916-026-04619-z

ARABPSYCHOLOGY.COM